أوراق المجلة الدولية للدراسات الأدبية والإنسانية ـ مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة ـ جامعة باتنة1 ـ الجزائر
EISSN 2800-1435 ISSN 2773-2940 المجلد 05 العدد 02 (سبتمبر، 2023) ص 09 إلى 26

إسهامات عبد الرحمان الحاج صالح في الدّرس اللّساني
-كتاب منطق العرب في علوم اللّسان أنموذجا-

The Contributions of Abd al-Rahman al-Hajj Salih to the Linguistic Lesson
-The Case of Mantiq Al Arab in Linguistics -

أحمد رية *

مخبر الشعرية، جامعة باتنة 1، ahmed.raia@univ-batna.dz

تاريخ الإرسال	2023/08/22	تاريخ القبول	2023/09/16

ملخص

تهدف هذه الورقة البحثية إلى الكشف عن الجهود اللّسانية التي قام بها الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح من خلاله مؤلفه القيم (منطق العرب في علوم اللّسان)، لقد حاول المؤلف أن يؤصل لجهود اللغويين العرب، وبخاصة النحويين منهم في مجال الدّراسات اللّسانية انطلاقا من مفاهيم أساسية كانوا يعتمدون عليها في مجال التحليل اللّغوي العلمي الذي يعتمد أساسا على الاستقراء والقياس و الاستدلال والإحصاء، وما إلى ذلك من أدوات تحليلية تقترب إلى حد كبير من الفكر اللّساني الحديث .

الكلمات المفتاحية: العرب؛ المنطق؛ علوم اللسان؛ الأصالة.

Abstract

The current research attempts to reveal the linguistic efforts undertaken by Abd al-Rahman al-Hajj Saleh through his valuable book “Mantiq al Arab in Linguistics”. His masterpiece is an appraisal to the efforts of Arab linguists especially the grammarians, based on basic conceptions they relied on in the field of linguistic analysis, which relies mainly on induction, analogy, inference, and statistics. Hence, Abd al-Rahman al-Hajj Saleh masterwork is a linguistic philosophy through which he combines both ancient linguistic issues with postmodern thought which is based on cognitive frameworks governed by rules, some of which are subject to linguistic study and others are consistent with rational logic. In an attempt to deal with this issue, the following is the research question:

What are the most prominent efforts of Abd al-Rahman al-Haj Saleh in the field of linguistics?

Keywords: Arabs; logic; linguistic sciences; originality

* المؤلف المرسل

1.مقدمة

يُعد الأستاذ (عبد الرحمان الحاج صالح) من الباحثين الجزائريين المتميزين في حقل الدّراسات اللغوية، وبخاصة اللسانية منها، والدليل على ذلك إسهاماته المختلفة و لمتعددة التي تهدف في مجملها إلى النهوض بعلوم اللغة العربية والرفع من قدرها وشأنها وسط لغات العالم العديد، أين تُحاول كلّ لغة فرض وجودها و إثبات أهميتها ودورها في تطور اللسانيات

.

والدّارس للنتاج اللغوي للأستاذ **عبد الرحمان الحاج صالح** يجد كتابه القيم **(منطق العرب في علوم اللّسان)** من الكتب العربية التي حاولت أن تُؤسس للسانيات عربية و تُؤصل للتفكير اللساني(Linguistic thinking) الذي عرفه العرب منذ القديم، وذلك بالأدلة الدامغة من خلال العودة إلى المدونات والمصنفات اللغوية التي كتبها جهابذة اللغة العربية، والتي إن دلت على شيء فهي تدل حتما على وجود شذرات لسانية اعتمد عليها علماء الغرب في إعلانهم عن ظهور علم جديد يُعنى باللسانيات.

وتهدف الورقة البحثية في مجملها إلى سبر أغوار التفكير اللساني عند العرب والتأكيد على إسهامات العرب المسلمين الأوائل و المتأخرين في البحث اللساني(Linguistic research) مع التركيز على طبيعة هذه الجهود وقيمتها المعرفية.

وتتمحور إشكالية هذه الورقة البحثية حول القيمة العلمية والمعرفية التي يُحظى بها كتاب (منطق العرب في علوم اللّسان) بوصفه يعكس جهود عبد الرحمان حاج صالح في تطوير العلوم اللغوية و اللسانية. و تتفرع عن هذه الإشكالية مجموعة من الأسئلة الفرعية أهمها ما يلي:

- ما هي القيمة العلمية لكتاب (منطق العرب في علوم اللّسان)؟ ودوره في إثراء الدّرس اللساني و اللغوي العربي؟
- هل استطاع عبد الرحمان الحاج صالح أن يُقدم مقاربة نظرية جديدة لدراسة النحو العربي؟
- ما هي حدود التفكير اللساني عن عبد الرحمان حاج صالح؟

للإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها اعتمدنا على المنهج التاريخي في التأصيل للظاهرة اللسانية العربية ورصدها والمنهج الوصفي لتحديد طبيعة التفكير اللساني مع الاستئناس

بأدوات إجرائية أخرى يحتاجها البحث مثل: التحليل و التعليق على المواقف والآراء المختلفة.

ويسعى البحث إلى تحقيق مجموعة الفرضيات أهمها:

الفرضية الأولى: لقد قدّم الأستاذ **عبد الرحمان الحاج صالح** دراسات قيمة في مجال الدّراسات اللغوية واللسانية، أسهمت إلى حد كبير في كشف الحقائق حول قضايا لسانية تخص التفكير العربي.

الفرضية الثانية: لقد أسهم اللغويون العرب في تشكيل النظرية اللسانية المعاصرة بفكرهم اللغوي من خلال طرحهم لقضايا نحوية ولغوية استفاد منهم المنظرون الغرب في صياغة النظرية الحديثة.

الفرضية الثالثة: يُعد النحو العربي من العلوم اللغوية التي تقترب إلى حد كبير من الدّرس اللساني.

ولتحقيق هذه الفرضيات قمنا بتقسيم الورقة البحثية إلى المحاور التالية:

1- جهود عبد الرحمان الحاج صالح في الدّرس اللّساني.

2- القيمة اللغوية للكتاب.

3- التفكير اللّغوي عند عبد الرحمان الحاج صالح في ضوء النظرية اللّسانية.

1- جهود عبد الرحمان الحاج صالح في الدّرس اللّساني: يُعد الأستاذ **عبد الرحمان الحاج صالح** من اللغويين العرب الذين أسهموا في بناء تفكير لساني يستمد أسسه ومقوماته من الفكر العربي القدامى،وقبل أن نتحدث عن إسهامات المؤلف في التفكير اللّغوي ارتأينا أن نُعرف القارئ على هذه الشخصية ثم نسترسل بعد ذلك في الحديث عن معالم تفكيره من خلال نتاجه العلمي و المعرفي:

1-1-التعريف بالمؤلف (بوزياني، الصفحات 10-12): هو عبد الرحمان الحاج صالح من مواليد 8 يوليو سنة 1927م بولاية وهران، و توفي يوم 5 مارس2017م بمستشفى عين النعجة عن عمر ناهز90سنة، ينحدر من عائلة نزحت من قلعة بني راشد المشهورة إلى وهران في بداية القرن التاسع عشر، تلقى تعليما مزدوجا (Double)إبان الاحتلال الفرنسي للبلاد باللغتين العربية في إحدى المدارس الحرة الجزائرية التي أنشاتها جمعية العلماء المسلمين

الجزائريين والفرنسية في المدارس الحكومية الفرنسية. اختار عبد الرحمان الحاج صالح دراسة الطب، حيث توجه سنة 1954م إلى جمهورية مصر العربية ليكمل دراسته في جراحة الأعصاب، وكان وقتها يتردد على جامع الأزهر ويحضر بعض دروس اللغة العربية التي كانت تقام في المساجد، وتقدم من طرف علماء وأساتذة مما جعله يتذوق طعم اللغة العربية .

ثم انتقل إلى فرنسا ليلتحق بجامعة بوردو(Bordeaux)وبحكم إجادته للّغة الفرنسية استطاع أن يطلع على المؤلفات اللسانية الفرنسية و غيرها مثل مؤلفات فرديناند دو سوسور (Ferdinand de Saussure)، ونعوم شومسكي (Noam Chomsky) ، ثم انتقل على المغرب العربي، حيث استقر به المقام بالرباط التي أصبح فيها أستاذا ومدرسا لعلم اللسانيات الحديثة(Modern Linguistics)، و بينما هو هناك التحق بكلية الحقوق التي تحصل منها على دبلوم العلوم السياسية من كلية الرباط، كما التحق بقسم الرياضيات و كلية العلوم.

و في سنة 1968م أصبح الأستاذ **عبد الرحمان الحاج صالح** أستاذا زائرا بجامعة فلوريدا الأمريكية، وفي سنة 1979م تحصل على شهادة الدكتوراه في اللغة العربية واللسانيات من جامعة السوربون بفرنسا، و التحق بجامعة الجزائر و انتخب عميدا لكلية الآداب حتى سنة 1986م، وبعدها أنشأ فرع الماجستير علوم اللسان، كما عُين عضو مراسلا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ثم انتخب عضو عاملا سنة2003م.

كما عين عضو في مجمع اللغة العربية بدمشق سنة 1978م، وعضو في مجمع اللغة العربية ببغداد سنة1980م، وعضو في مجمع اللغة العربية بعمان سنة 1984م، كما انتخب عضو في عدة مجالس علمية دولية، وفي سنة 2000م عين رئيسا للمجمع الجزائري للغة العربية، إضافة إلى عمله أستاذا وباحثا في جامعة الجزائر، كما اشتغل منصب رئاسة اللجنة الوطنية لإصلاح المنظومة التربوية في الجزائر وترأس مشروع الذخيرة اللغوية العربية.

-الجوائز:تحصل الأستاذ **عبد الرحمان الحاج صالح** على جوائز عديدة أهمها جائزة الملك فيصل سنة2010م تقديرا لجهوده العلمية المتميزة في تحليله النظرية الخليلية النّحوية و علاقتها بالدّراسات اللّسانية المعاصرة و دفاعه على أصالة النحو العربي و جهوده البارزة في مجال التعريب.

-**آثاره:** ألف وشارك في تأليف عدة كتب في علوم اللغة العربية واللّسانيات العامة، منها معجم علوم اللّسان وبحوث ودراسات في علوم اللسان، و السماع اللّغوي عند العرب و مفهوم الفصاحة، وعلم اللّسان العربي وعلم اللسان العام (بالفرنسية في مجلّدين)، و النظريّة الخليليّة الحديثة- مفاهيمها الأساسية، ومنطق العرب في علوم اللسان، ومحاضرات ومقالات لغوية نشرها بعنوان (مدخل إلى علم اللسان الحديث)، في مجلة اللسانيات و في أعدادها الصادرة بين سنة 1971م وسنة1974م بمعهد العلوم اللسانية و الصوتية التابعة لجامعة الجزائر.

1-2-آراؤه اللغوية:إنّ المتأمل للفلسفة اللّغوية التي جاء بها الأستاذ **عبد الرحمان الحاج صالح** يجدها تضم مشاريع لغوية تهدف في مجملها إلى إصلاح الملكة اللغوية وترقيتها ولايتأتى ذلك إلا عن طريق التعليم(Education)، و هنا يُميز بين مرحلتين ، وهما **(بلجيلالي، 2017م، الصفحات 64-65) :**

المرحلة الأولى: يتم فيها اكتساب الملكة اللغوية الأساسية، و هي القدرة على التعبير السليم، والتصرف العفوي في بنى اللغة، و يتطلب ذلك وضع التدرج لاكتساب التراكيب، و الانتقال من الأصول إلى الفروع و العكس، وفي المقابل يحرص على تجنب كل أنواع التعليم الفني الذي يستخدم المحسنات البيانية والبديع.

المرحلة الثانية: فيتم فيها اكتساب المهارة على التبليغ الفعّال، على أن لا يتم الانتقال إليها إلا بعد أن يكون المتعلم قد اكتسب الملكة اللغوية الأساسية.

-اللغة العربية تخضع إلى منطق مقنن: لقد حاول الأستاذ **عبد الرحمان الحاج صالح** أن يطرح قضية تندرج ضمن فلسفة اللغة، ويوضح في الوقت نفسه موقف علماء العرب منها، و المسألة هنا تتعلق بقضية تحليل اللغة باللجوء إلى المنطق، فلقد ردّ الأستاذ على اللغويين الغربيين الذي أنكروا اعتماد العرب على المنطق في التحليل اللغوي بحجة أنّ اللغة عندهم وسيلة للتعبير و التخاطب، وفي هذا يقول:" وتبعهم في ذلك الكثير من المتخصصين في تعليم اللغة العربية . فهم ممن يذكر اللجوء إلى المنطق في تحليل اللغة بدعوى أنها لا تخضع للمنطق. وعلى هذا الأساس أنكروا على النحاة العرب اعتمادهم عليه – وكلهم يعتقد أنه منطق أرسطو- وقد تأثروا في ذلك باتجاه قديم للسانيين الغربيين وهو يقول

بأن اللغة في أغلب دواليبها غير منطقية لأنها وسيلة للتعبير عن أشياء كثيرة لا تمت إلى العقل كالعواطف وجميع الخوالج النفسية. وهذا النوع من السفسطة: فإن كانت اللغة غير منطقية في ذاتها- وفي هذا أيضا مجازفة- فإن وسائل تحليلها يجب أن تكون منطقية أي تابعة للعقل وخاضعة لطريقة تحليلية عقلية. ثم الذي يعنيه بعض من يقول بأن اللغة غير منطقية وهو قول توارثوه عن الفلاسفة اليونانيين(الرواقيين) هو أنها غير منسجمة وليست لها قواعد مطردة. وقد ردّ على ذلك العلماء العرب بأن لها أطرادًا قد تخرج عنه بعض العناصر لعوامل خارجة عنها كالتخفيف من الجهود المبذولة في التخاطب و كالتوهّم (الذي يصبح قاعدة بانتشاره) وغير ذلك. وتناولوا ذلك بالدراسة وبرعوا فيه." **(الحاج، 2012م، الصفحات 12-13)** ، من الواضح أن التأكيد على منطقية اللغة العربية بخضوعها إلى قوانين معينة يجعل منها لغة راقية، ومن ثمة الرد على المشككين الغربيين الذين أردوا التقليل من القيمة اللسانية للغة العربية، وجعل دورها يقتصر فقط على التعبير، وهنا استخدم المؤلف حجج واقعية دامغة لدحض حجج المشككين.

-نحو علم نحو علمي وتعليمي: يرى الأستاذ **عبد الرحمان الحاج صالح** أنّه لكي نصل إلى دراسة النحو العربي بشكل مفيد يجب التخطيط لنوعين من الدّراسة علمية تتعلق بالبحث و التنقيب عن أسرار النحو العربي الذي مازال يحتاج إلى دراسات معمقة تستقصي البنية اللسانية، ودراسة أخرى عملية تسعى إلى وضع مناهج تعليمية تهدف إلى تعميم تعليم النحو العربي و ترسيخه في الأذهان، يقول في ذلك: " وقد يكون السبب في ذلك أيضا التخطيط بين نوعين من الدراسة: العلمية المحضة و التعليمية الاكتسابية. فالأولى هي ممارسة للبحث العلمي في ميدان خاص والثانية هي تعلّم واكتساب لمهارة معينة. وهما ميدانان مختلفان و الذي يربطهما هو محاولة استثمار التعليم لما يأتي به البحث العلمي في اللغة (أي النحو العلمي)من جديد المعلومات. ويتم ذلك بتكييف هذه المعلومات الجديدة بما تقتضيه قوانين التعليم للغات . فما يبحث عنه ويحاول إثباته الباحث شيء وما يقوم به معلم اللغة من عمل لاكتساب المهارة في اللغة شيء آخر. فهذا النحو التعليمي، وهو جزء مما يستعين به المعلم في عمله، يجب أن تتحسن طرائقه باستغلال ما يكتشفه النحو العلمي، وهو جزء هام من علوم اللسان" **(الحاج، 2012م، صفحة 13)** يجب التميز هنا بين اللغة العربية بوصفها وسيلة لتحقيق المعرفة اللسانية الأساسية أسهمت إلى حد كبير في إنتاج

الفكر اللساني الحديث، وبين اللغة العربية بوصفها منظومة لسانية لها قواعدها وأسسها التي تقوم عليها تُلقن للمتعلمين ضمن برنامج تعليمي محدد يراعي فيه الفئة العمرية .

-من أجل معجم لغوي لساني موحد: لقد أسهم الأستاذ **عبد الرحمان الحاج صالح** مع مجموعة من الباحثيين من مختلف الدول في إعداد مُعجم(Dictionary) موحد خاص بالمصطلحات اللغوية و اللسانية تحت رعاية مكتب التعريب التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ولقد صدرت الطبعة الأولى من المعجم عن مطبعة المنظمة بتونس سنة 1989م، و الملاحظ أنّ الأستاذ **عبد الرحمان الحاج صالح** أسهم بجهده من خلال البحث، وكانت كُتبه من المصادر الرئيسة التي اعتمد عليها الباحثون في الصناعة المعجمية، فضلا على أن معهد العلوم اللسانية و الصوتية الذي كان مشرفا عليه يُنسق مع مكتب التعريب التابع للمنظمة بهدف المساهمة في إنتاج المعرفة اللغوية. **(المؤلفين، 2002م، الصفحات 5-16)**

2- القيمة اللغوية للكتاب: إنّ الدّارس لكتاب **(منطق العرب في علوم اللّسان)** يكتشف عديدا من القضايا اللغوية القيمة التي أثارها المؤلف أراد من خلالها إنصاف التفكير اللغوي العربي القديم و الرد على المزاعم الغربية، وبخاصة تلك التي تقلل من دور اللغويين العرب في حقل الدراسات اللسانيات الحديثة،كما أنّ الأستاذ **عبد الرحمان الحاج صالح** كشف لنا عن بعض الحقائق المتعلقة بعلماء العرب في حقل الدّراسات اللغوية، لعلّ من أهمها مايلي:

2-1- الإقراربدورسيبويه في المعرفة اللغوية: لقد حاول الأستاذ **عبد الرحمان الحاج صالح** أن يُعيد كشف النقاب عن مصنفات لغوية من التراث اللغوي العربي القديم، و يُبرز بعض الجوانب اللغوية في كتب سيبويه، فنقرأ مثلا قوله:"إن العلماء العرب في علوم اللسان الذين سنتطرق إلى أعمالهم هم المبدعون منه أي العلماء الذين أسّسوا هذه العلوم وفروعها وتم نموها على أيديهم وذلك من القرن الثاني الهجري إلى القرن الرابع وبعض من جاء بعدهم من العباقرة. ثم عن ما تطرق إليه أحد هؤلاء النحاة المبدعين وهو سيبويه في كتابه- وهو أقدم ما وصل إلينا من كتبهم وأوفاها، وبالتالي يحتوي على ما عالجه أصحابه وأتباعه- هو أساسًا الجانب النحوي الصرفي الصوتي للغة ولم يكن هذا الميدان مع ذلك مجرد نحو

وصرف لأنه لم يمهل أبدا الجانب الدلالي لأنواع البنية و التراكيب العربية من جهة أخرى المعاني الخارجة عن دلالة اللفظ كدلالة الحال وغيرها" **(الحاج، 2012م، صفحة 9)** من الواضح أن كتاب سيبويه يُعد آلة في المعرفة اللغوية ، ففضلا عن المساءل النحوية و الصرفية التي أثارها المُصنف فهو يضم كذلك قضايا تتعلق بعلوم اللسان و علم الدلالة، وبخاصة عندما أشار إلى بنية الكلمة و دلالة الألفاظ وتراكيب الجمل فهذه المفاهيم اللغوية تُعد-في نظر المؤلف- قضايا لغوية تندرج ضمن النظريات و الحقول اللغوية الحديثة.

2-2-وسائل التحليل اللغوي منطق انفرد به النحاة العرب: إنّ أي معرفة لغوية تعتمد على وسائل وإجراءات يتبعها الباحث للوصول إلى نتائج معينة، والمتأمل للتفكير العقلي عند اللغويين العرب يجد أنهم اعتمدوا على وسائل علمية تتناسب مع طبيعة موضوع البحث، ولعلّ هذا ما ذهب إلى تأكيده الأستاذ **عبد الرحمان الحاج صالح**، يقول في ذلك:"وسنحاول أن نبين في هذا الكتاب أن ما لجأ إليه النحاة العرب القدامى أمثال الخليل وسيبويه بصفة خاصة (وغيرهم ممن سبقهما ومن جاء بعدهما) من الوسائل العقلية ووسائل البحث عامة هو شيء اختص به هؤلاء النحاة وانفردوا به وهذان العالمان الجليلان بصفة خاصة مع بعض العباقرة الذين سبقوهما وتلوهما. لأنه لايوجد ما يمثله تماما لا عند علماء اللغة السنسكرتية الهنود ممن ظهر قبل المسيح وبعده وعند الفلاسفة والنحاة اليونانيين وإن كانت بعض الجوانب من طرائق التحليل عند النحاة الهنود و اليونانيين قد تشبه ما استعمله العرب كالقياس و الانالوجيا ولا يطابقهما " **(الحاج، 2012م، صفحة 28)** ، يبدو لنا أنّ المؤلف حاول أن يؤكد – بالأدلة الدامغة-على أسبقية التفكير اللغوي عند العرب على المنطق الفلسفي اليوناني، واستدل بالعالمين اللغويين الخليل بن أحمد الفراهيدي و سيبوية وأكد على أن طريقة تحليلهما وتوظيفهما للوسائل العقلية مختلفة.

وفي موضع آخر أكد الأستاذ **عبد الرحمان الحاج صالح** أن الخليل بن أحمد الفراهيدي لم يخترع كل شيء من لاشيء فهو ، وإن كان تميّز عن غيره وكل من سبقه بالإتيان بما لم يأت به أحد قبله، فقد اعتمد في تفكيره على مفاهيم أساسية ظهر الكثير منها عند الساميين ومنذ ازدهار الحضارة البابلية، و الذي يؤكد هذه الحقيقة ما يلي: **(الحاج، 2012م، الصفحات 29-30):**

-هو الحالة اللغوية التي كان عليها المجتمع الإسلامي في تلك الفترة، وارتباط ذلك باستقرار الدولة من جهة وحاجة المسلمين الشديد إلى معرفة لغة القرآن الكريم من جهة أخرى و هي لغة الدولة، فهذا النوع من الحاجات الجماعية المسيسة التي تهم الأمة كلها لايمكن أن يسدّها منطق مثل منطق أرسطو(Aristote)بل لابد من وسائل تمكّن المتعلم للعربية أن يعرف ما هو الجائز في هذه اللغة، وهذه الحاجة مماثلة تماما لحاجة المسلمين إلى وسائل تتثبت بها الأحكام الشرعية للنوازل التي لم يرد فيها نص.

- إنّ اللغات البشرية هي قبل كل شيء ألفاظ تتركّب من وحدات، ولكل وحدة تركيب وبنية تشاركها فيها وحدات أخرى. وعلى هذا لا يمكن أن تسلط عليها في تحليلها أي نوع من المنطق بل ما يناسب فقط ماهية اللغة من حيث هي صيغ وبُنى متواضع عليها، و من المعروف أن البُنى مهما كانت فيزيائية أم كيماوية أم بيولوجية أم اجتماعية أم لغوية فهي من جوهر رياضي و منهج تحليلها رياضي.

3- التفكير اللّغوي عند عبد الرحمان الحاج صالح في ضوء النظرية اللّسانية:

لايخفي الأستاذ **عبد الرحمان الحاج صالح** إعجابه الكبير بالنحاة العرب القدامى في صناعة اللغة العربية و ضبطها و تقنينها كما فعل الخليل بن أحمد الفراهيدي في معجمه (العين) ، ويُعد الأستاذ **عبد الرحمان حاج صالح** أحد المنتسبين إلى النظرية الخليلية الحديثة التي ظهرت معالمها في سنة 1979م، ويتبدى لنا ذلك في أطروحته التي نال بها شهادة الدكتوراه من جامعة السربون بباريس و التي كان عنوانها :

Linguistique arabe et linguistique :générale essai de méthodologie du ilm al-Arrabiyya thèse dactylographière, parie, Sorbonne,1979.

و لقد حاول الأستاذ **عبد الرحمان الحاج صالح** صياغة هذه النظرية في إطار منطقي رياضي حديث ضمن ما يعرف بالنظرية الخليلية الحديثة، وتسمح هذه النظرية بتصور نظام تحليل صرفي تفريغي و تحليل تركيبي يرتكز على ما يلي:

-مفهوم المدونة المفتوحة: إن المعطيات التي يتحصل عليها اللغوي لا تختلف تلك التي يتحصل عليها العالم البيولوجي أو الفيزيائي و هي قابلة للتحقق بالرجوع إلى الواقع.

-إقامة الفرق بين البنية النحويّة و بين وضع اللّغة من جهة و ببين استعمال المستعملين لهما في أفعال خطابية معينة من جهة أخرى.

-مفهوم البنية في هذه النظرية يتجاوز مفهوم البنية في المذهب البنيوي الذي ظهر بعد دوسوسير (Ferdinand de Saussure) ، فإن البنّية هنا هي نتيجة لتركيب بين الفئة والترتيب (بين أفراد جنس و نظراتها من أجناس أخرى حسب تعبير القدامى). **(بوزياني، صفحة 15)**

3-1-الظواهر اللسانية و التبليغ:لقد طرح الأستاذ **عبد الرحمان الحاج صالح** عند استعراضه للظواهر اللسانية والتبليغ من منظور اللسانيات الحديثة مجموعة من الرؤى اللسانية ، نوجزها في **(الحاج، 2012، الصفحات 184-185)** مايلي:

-اللسان عضو نطق متحرك له دور في نطق الأصوات اللغوية **(الخولي، 1402هـ/1982م، صفحة 144)**، كما أنه أداة للتبليغ ، فتلك هي وظيفته الأصلية، أما غيرها من الوظائف ففرع عنها.

-اللسان ظاهرة اجتماعية لا فردية.

-لكل لسان خصائص من حيث المادة و الصورة.

-اللسان هو في حد ذاته نظام من الأدلة المتواضع عليها، وله بذلك بُنى ظاهرة وخفية.

-للسان منطقه الخاص به.

-اللسان وضع واستعمال ثم لفظ ومعنى في كل من الوضع و الاستعمال ففي الاكتفاء في التحليل بأحد هذه الجوانب وتجاهل الأخرى خطب عظيم، و المزج بينهما خطب أعظم.

-للبنى اللغوية مستوى من التحليل غير مستوى الوضع، وغير مستوى الاستعمال.

3-2-السماع اللغوي: لقد حاول الأستاذ **عبد الرحمان الحاج صالح** أن يُؤصل لقضية لغوية تتعلق بالتحليل اللساني و هي قضية دور ملكة السماع في تحصيل الجوانب العلمية والمعرفية، وهنا أشار إلى دور نحاة العرب القدامى في الاعتماد على السماع في استنباط الكثير من الأحكام المتعلقة بالعلوم اللغوية و الشرعية، وفي هذا يقول:"إن اعتماد النحاة العرب على السماع من أفواه فصحاء العرب في زمان الفصاحة السليقية كان اعتمادًا مطلقا وكليا لايتقيّدون فيه بشيء إلا بصحة فصاحة الموردين وصحة ما يُروى عن سائر من

مضى من الفصحاء كما حاولنا أن نثبته في كتابنا السابق « السماع اللغوي العلمي عند العرب»، وكان لجوؤهم إلى السماع المباشر و تسجيل كلام العرب قد حصل بعد استقراء الجيل الأول و الجيل الثاني من النحاة للنص القرآني استقراء كاملا مكّنهم من أن يستنبطوا بعض القوانين الأساسية يعتمد عليها المسلمون من غير العرب لأداء هذا النص الكريم بدون لحن وإدراك معانيه. وأحس أبو عمرو بن العلاء أحد هؤلاء العلماء من الجيل الثاني- وكانوا كلهم من القرّاء- بضرورة توسيع البحث في لغة القرآن بالرجوع إلى أصحاب اللسان الذي نزل به و تدوين كلامهم ودراسته دراسة علمية" **(الحاج، 2012م، صفحة 93)**، من خلال هذا النص يتضح أنّ ملكة السماع من الملكات الرئيسة التي كان يعتمد عليها النحاة العرب في تحصيل الفصاحة اللغوية، وبخاصة في تعاملهم مع القرآن الكريم، وفي هذا السياق تحدث الأستاذ **عبد الرحمان الحاج صالح** على قضية السماع بالتفصيل في كتابه (السماع اللغوي عند العرب ومفهوم الفصحى)، ومن بين المسائل الهامة التي طرحها في هذا المجال محتوى المسموع الذي حصره في نوعين من النصوص **(الحاج، 2012م، الصفحات 252-254)** :

-نصوص أخذت وهي محفوظة في الصدور.

-نصوص حرة عفوية.

فأما الأولى فهي عبارة عن نصوص منقولة شفهيا نقلها الناطقون باللغة العربية بعضهم إلى بعضهم وجيلا بعد جيل ولم يأخذها العلماء مباشرة من مصادرها الأصلية ، وهي نصوص نُقلت على صورة واحدة إلا أن تأدية الناقلين لها كانت مختلفة لاختلافها في الأصل و اختلاف المنشأ اللغوي للناقل، وهذا الاختلاف يُقربها من النصوص الحرة، أما مصدر هذه التأدية فلا يمكن أن يكون إلا الناطقين العرب الفصحاء إلا النص القرآني.

كما ميز الأستاذ **عبد الرحمان الحاج صالح** في هذا المجال بين القرآن الكريم و الشعر الجاهلي؛ فالقرآن الكريم حفظه الله- عز وجل- و اعتنى به المسلمون لقداسته، أما الشعر الجاهلي نص لايعرف الشكل الأصلي الذي أنشأه الشاعر إذا حصل الاختلاف في الروايات، ولاتصل الاختلافات إلى التغيير الجذري وللشكل الأصلي إلا نادرا، وهذا ينطبق على شعر المخضرمين أيضا إذ لم يبدأ العلماء في التدوين إلا في أواخر القرن الأول.

وفي موضع آخر تحد الأستاذ (عبد الرحمان الحاج صالح) عن قضية العناية بالسماع و تصحيحه، واستدل بكل من العالمين الجليلين سيبوية والفراء وهما يقومان بالإكثار من السماع ، وبخاصة في القضايا النحوية، ولعلّ الهدف من ذلك محاولة تعزيز هذه الملكة و تنميتها، يقول في ذلك:"وبالفعل فقد رأينا سيبويه و الفراء يكثران من ذكر ما سمعاه في كل مسألة نحوية ولكن الأهمّ من هذا ههنا هو اتصاف هذا السماع بالسّعة ولاسيما عند سيبويه . فقد ذكر ما يحتجّ به من كلام العرب إلا أن الذي يلفت النظر في ذلك هو العدد المهول من الذين سَمِعَ منهم و بالتالي عدد النصوص التي سمعها، ولاتنحصر هذه النصوص في عدد ما سيسمى بعده بالشواهد كما يعتقده بعضهم في زماننا إذ قد يذكر شاهدا واحدا أحيانا ولايعقل من هذا الرجل المتحّرج أن يبني عليه قانونا ويسكت النحويون الآخرون على ذلك!فالشواهد عنده حجج يدلي بها وليست كل ما سمعه" **(الحاج، 2012م، صفحة 96)** ، من الواضح أن ملكة السماع تحتاج إلى الصقل ويجب تنميتها، ولقد استدلّ المؤلف بسبويه صاحب مصنف الكتاب الذي كتبه في السبعينات من القرن الثاني الهجري فقد مضى على بداية التحريات الميدانية اللغوية في ذلك الزمان أكثر من ثمانين(80) سنة ومع ذلك فقد بلغ النحو هذا الكتاب مستوى عاليا جدا، ومع ذلك أيضا فلم يأت في هذا الكتاب ولا مرة واحدة كلمة (قرأت في) أو (أخبرني فلان في كتابه) و غير ذلك بل يلجأ سيبويه من أول كتابه إلى آخر سطوره إلى عبارة(سمعت) و(حدثني) مما يدل على أن مصادره هي كلها شفاهية، وهذا لا يعني أن العلماء في زمانه وما قبله لم يلجأوا أبدا إلى الكتابة، بلى، لم يكن هناك سماع إلا مرفوقا بتدوين كتابي كما يشهد على ذلك ما وصل إلينا من أخبار العلماء الأولين، و يجدر التنبيه في هذا السياق التميز بين سماع النحويين واللغويين عن سماع المحدثيين فسيبويه وكل العلماء منذ زمن أبي عمرو بن العلاء كان مصدرهم الذي أخذوا منه فصحاء العرب الذين كانوا معاصرين لهم فأخذوا منهم مباشرة ولاحاجة إلى إسناد بالنسبة لهم إلا الإسناد إلى شيوخهم. **(الحاج، 2012م، الصفحات 254-257)**

كما يرجع الأستاذ **عبد الرحمان الحاج صالح** تمسك النحاة القدامى بقصية السماع إلى أمرين، وهما **(الحاج، 2012م، الصفحات 100-101)**:

-التقبّل لكل العبارات الجامدة و تدوينها كما وردت على ألسنه فصحاء العرب وهي جميع أمثالهم وما يجري مجراها أي العبارات التي تتركب من ألفاظ تركيبا خاصًا ولا تأتي في

الاستعمال إلا بهذه الصيغة ولا يضبطها ضابط واحد لخصوصيتها في ذاتها وهي الأساليب الجامدة التي تختصّ بها لغة معينة و تسمى باللغة الإنجليزية(Idiotism)، ويكون التقبّل لها بالحفاظ عليها كما سُمعت ودون اللجوء إلى أي ضابط ودون تغيير، ولهذا الصنف أمثلة كثيرة أشار إليها سيبويه مثل استعمالهم لبعض الظروف في العبارات التي لايجوز تغييرها مثل : (شهر- ربيع)، وفي هذا السياق يقول سيبويه:" فليس لك فى هذه الأشياءِ إلاّ أَنْ تُجْرِيَهَا على ما أَجروها، ولا يجوز لك أن تريد بالحرف إلا ما أرادوا". **(سيبويه، 1988م، صفحة 2018)**

-التقبّل لكل عبارة تكون خارجة عن الذي يضبط مثلها وهي مع ذلك كثيرة في الاستعمال عند فصحاء العرب وقد تكون هي المطّردة في الاستعمال لا يوجد غيرها، ويسمى سيبويه هذا النوع بالنوادر ، وهو عند المتأخرين نوع من السماعي في مقابل القياسي، وتكون قلته لا بالنسبة إلى الاستعمال بل قلته هي بالنسبة إلى كل العناصر التي تنتمي إلى بابه، وهذا الضرب من الشواذ الكثير في الاستعمال.

3-3-قضية القياس: تُعد قضية القياس العربي وعلاقته بالسلوجسموس اليوناني من أبرز القضايا اللسانية التي تحدث عنها الأستاذ **عبد الرحمان الحاج صالح** ، حيث يرى أن المترجمين الأوائل لكتب المنطق لم يترجموا اللوجسموس بكلمة قياس كما قام به مترجمو القرن الثالث الهجري، والذي كان من أقدمهم عبد الله بن المقفع الذي استعمل لفظة (صنعة) ولهذه اللفظة دلالة على ما هو صوري و ما تحدثه الصياغة ، كما ستعمل الكندي لفظة (الجامعة) وهو مصطلح يقترب إلى حد كبير من لغة الفقهاء و النحاة ، والمصطلح عند أرسطو *(Aristote)* يتعلق بالقضية الصغرى والقضية الكبرى. **(الحاج، 2012م، صفحة 299)** ، لقد حاول المؤلف أن يُؤكد حقيقة علمية مفادها أن العرب عرفوا القياس بمصطلح آخر (الصنعة، الجامعة) و غيرهما من المصطلحات و هو يقترب إلى حد كبير من مفهوم القياس الأرسطي، ومن ثمة يُمكن الحكم أن للفلاسفة العرب في طرح القضايا العقلية التي كانت تُعد من نفيس العقل اليوناني، والرد في الوقت نفسه على الذين يؤولون الكلام ويتهمون العقل العربي بعدم المساهمة في الفكر الفلسفي العالمي.

كما ردّ الأستاذ **عبد الرحمان الحاج صالح** على الذين يعتقدون بأن السلوجسموس و القياس وجهان لعملة واحدة يقول في ذلك:"الاعتقاد بأنّ هذا المفهوم والقياس هما شيء واحد فسببه في الغالب الجهل بالمنطق الأرسطي و بالمنطق الحديث و بمفهوم القياس العربي. فالذين يعتقدون هذا الاعتقاد الخاطئ كأنّهم رأوا في الرابط بين الأصل و الفرع في القياس أنه بمنزلة الحدّ الأوسط في القياس الأرسطي إذ لابد في كل استدلال من رابط بين أمرين يُستنتج منهما شيء بسببه " **(الحاج، 2012م، صفحة 300)**، فإذا كان السلوجسموس يقصد به في الفلسفة اليونانية الرابط الذي يجمع بين القضايا الكبرى و الصغرى في الفلسفة اليونانية فهو يختلف تماما عن القياس الذي يقوم على منطق التحقق من وجود مجموعة من القضايا لتؤدي إلى نفس النتيجة، كما أنّ المنطق في اللغة العربية يُعد آلية للقياس، التي تجعل استعمال اللغة عملية عقلية لا مفرّ منها ولابدّ من انتهاجها ولا يحتاج النحوي أن يستعين بمنطق الأرسطي من أجلا فهمها وإدراكها، وإنّما يعبّر بصدق عن آليات منطقية، أو لنقل: عقلية استمدها المتكلم من الاستعمال اللغوي، فيبني المفردات و التراكيب الجديدة عليه. **(معزوز، 2017م، صفحة 221)**

كما تطرق الأستاذ **عبد الرحمان الحاج صالح** إلى حقيقة العلاقة الموجودة بين القياس العربي و الأنالوجيا***(Analogy)*** ، يقول في ذلك:"أقرب مفهوم إلى القياس العربي هو هذه الأنالوجيا إلا أن مدلولها ليس بواضح ولا دقيق. ولم يكن الأمر كذلك عند الرياضيين اليونانيين. فقد كانت تدل هذه الكلمة عندهم على مفهوم رياضي محض و هو التناسب المتمثل في الأربعة المتناسبة أ/ب=ج/د (***Proportion***). فهذا المدلول العلمي هو من جنس القياس النحوي لامحالة ، فمنه القياس الذي أقامه سيبويه بين الجزم و الجر وهو تناسب من هذا النوع تماما غير أن الأشكال الراقية من القياس كالذي أقاموه بين التصغير للرباعي و الجمع المكسر الرباعي فلا يمكن أن ينحصر في هذا التناسب البسيط وإن كان من جوهر القياس" **(الحاج، 2012م، الصفحات 303-304)**، لقد حاول الأستاذ **عبد الرحمان الحاج صالح** أن يؤسس فلسفته الخاصة في موضوع العلاقة بين القياس العربي و الأنالوجيا ، حيث يرى أنهما من المفاهيم المتقاربة و المتشابهة مع بعضها البعض على الرغم من الاختلاف الذي قد يُلاحظه الدّارس لهذين المصطلحين لارتباط الأنالوجيا بالمنطق الرياضي و القياس العربي بالنحو الذي أسسه سيبويه، و الذي حاول أن يُقيم مجموعة من العلاقات النحوية

بين بنية الكلمة وشكلها : ماهية العلاقة التي تجمع اثنين تشير كذلك الكلمة إلى المعنى ذاته، ولكن بالملموس ما يُشكل تماثلا بالمعنى. **(لالاند، 2002م، صفحة 62)**

كما أبدى الأستاذ **عبد الرحمان الحاج صالح** رأيه من القياس النحوي ، والذي عرّفه بقوله:"توافق البناء أو المجرى بين الوحدات المسموعة للفئة الواحدة وهي نظائر و المجموعة تسمى بابا. أما تشبيه الناطقين مجرى بآخر فهو ظاهرة لغوية و لايسمى سيبويه ومعاصروه ذلك قياسًا. فيجري النحوي بحثا لإثبات هذا التوافق في كل باب. ويتم ذلك بتتبع النظائر في المسموع و قد لا يتحقق التوافق في الباب أو لايكون إلا في القليل. ولا قياس على مسموع شاذ منه بل على الكثر في الباب" **(الحاج، 2012م، صفحة 335)** ، يتعلق القياس النحوي هنا بتوافق البنى بين الوحدات المسموعة في الوحدة الواحدة، وعلى النحوي أن يسعى إلى إثبات ذلك بالطرق اللغوية المتعارف عليها مع التأكيد على أنّ القياس لا يصح مع الوحدات المسموعة القليلة بل يجب أن يقع على عدد لابأس به ليحصل المطلوب.

وللقياس النحوي أغراض عديدة منها **(الحاج، 2012م، صفحة 335)**:

-أحدهما تطبيقي وهو تمكين متعلّم العربية من استغلال الأصول النحوية التي أثبتها النحوي.

-و الثاني نظري وهو زيادة على استنباط المثل و الحدود تفسير لبُنى اللغة ومجاريها وكيفية انتظامها واكتشاف أسرارها وتوجيه كل ما شذّ عن حدودها.

ويُمكن للقياس النحوي أن يكون طريقة استكشافية استدلالية من خلال مايلي **(الحاج، 2012م، صفحة 348)**:

-إنّ الاستدلال القياسي هو كمكل استدلال استنتاج نتيجة من مجموعة من المعطيات أو من افتراض، ولا يمكن أن يحصل ذلك إلا بوجود علاقة تربط بين النتيجة وهذا الذي وضع كمنطق للاستدلال، وهي عند النحاة تكافؤ لزومي.

-النحوي في قياسه يحصر جهوده في محاولة اكتشاف هذا التكافؤ في الواقع وإثباته منطقيا في الوقت نفسه ولابد من أن يبدأ بتغيير مظهر المقيس و المقيس عليه بتحليلهما إلى مكوناتهما أولا بعمليات تحويلية و تقديرية. والقياس النحوي ليس استكشافيا فقط أو برهانيا فقط بل يُضفي على كشف وإثبات في الوقت نفسه؛ لأنّه استنتاج بالتركيب. فالميزة

الثانية للقياس النحوي هو أن العمليات التي يُجريها النحوي فيه بإجراء النظير على النظير هي التي يُبنى عليها التكافؤ: فهو إجرائي بهذا المعنى.

-إنّ التكافؤ القياسي ليس تكافؤا اندراجيا بل يتجاوز ذلك بربط العناصر من مجموعة (أ) بعناصر من مجموعة (ب) مباشرة دون أن يمّر بـ(أ) أو (ب)، فهي علاقات قائمة لا بين مجموعات وأخرى بل بين عناصرها مباشرة كل واحد إزاء نظيره ، وهذا في اصطلاح الرياضيات هو تطبيق من نوع التقابل.

خاتمة:بعد رحلة البحث في رحاب التفكير اللساني عند الأستاذ **عبد الرحمان الحاج صالح** خلصنا إلى مجموعة من النتائج أهمها مايلي:

-يُعد الأستاذ **عبد الرحمان حاج صالح** من اللغويين الجزائريين و العرب الذين استطاعوا أن يُقدموا إسهامات قيمة في مجالات اللغة واللسانيات من خلال مؤلفات قيمة حاولت التأصيل للفكر اللساني عند العرب منذ القديم، وبخاصة في مجال الدّرس النحوي من خلال كتب الخليل بن أحمد الفراهيدي و سيبويه وابن الفراء و غيرهم من جهابذة اللغة الذين حاولوا أن يتركوا لنا ميراثا لغويا نعتز به ، لهذا يجب علينا أن نُبين للآخر الدور الذي قام به علماء اللغة العرب في تطوير الفكر اللساني العالمي.

-تعد الملكة اللغوية قيمة تعليمية يجب اكتسابها لانعكاسها الإيجابي على المتعلم؛ حيث تمنح له القدرة على التعبير السليم و النطق بسلاسة وعفوية وتعزز المهارات الذهنية ، فضلا عن دورها في تحقيق المحافظة على الملكات الأخرى و تطويرها .

-إنّ اللغة العربية بوصفها ظاهرة لسانية تخضع إلى علم المنطق و تقوم على قضية إعمال الفكر و فتح باب الاستنتاج و الاستدلال و بناء علاقات بين أجزاء الفعل اللغوي، ولقد حاول الأستاذ **عبد الرحمان الحاج صالح** أن يؤكد هذه الحقيقة بالأدلة الدامغة التي لا بس فيها، ومن ثمة الرد على الذين ينقصون من القيمة المعرفية للغة العربية وجعلها فقط وسيلة من وسائل التخاطب و التواصل.

-ضرورة إعطاء الأهمية للنحو العربي وذلك بإعادة قراءته من جديد بمنطق حداثي يستجيب لأفاق الدّرس اللساني لكي لا تكون هناك فجوة تفتح باب التأويل وتنقص من القيمة اللسانية للغة العربية، وهنا يجب التميز بين الباحث المتمرس و الطالب المتعلم؛ فالأول يقع على عاتقة البحث و التنقيب عن أسرار اللغة العربية عند اللغويين القدامي

والكشف عن تلك الأنظمة اللسانية ذات البعد الفلسفي، أما بالنسبة للمتعلم يجب إعادة النظر في طريقة تلقينه مادة النحو وعلوم اللغة العربية للتلاميذ .

-في قضية السماع اللغوي و القياس حاول الأستاذ **عبد الرحمان الحاج صالح** أن يُبرز دور اللغويين العرب في الاهتمام بالسماع كونه أحد الوسائل الهامة للتحصيل العلمي ، كما قدّم تحليلا علميا دقيقا حول مصطلح القياس العربي و علاقته بالفلسفة اللغوية العربية التي تنطلق من فكرة الاستدلال و الاستنتاج في التحليل النحوي.

قائمة المصادر و المراجع

1- بلجيلالي، خيرة. (2017م). *إسهامات عبد الرحمان الحاج صالح في ترقية اللغة العربية*. ع17. جامعة مستغانم. الجزائر: مجلة حوليات التراث.

2- بوزياني، عبد القادر. (د.ت). *جهود عبد الرحمان حاج صالح في مجال اللسانيات المعاصرة* . ج1، ع2 . الجزائر : مجلة موازين.

3- الحاج صالح، عبد الرحمان . (2012). *بحوث ودراسات في علوم اللسان*. (د.ط)، الجزائر: موفم للنشر.

4- الحاج صالح، عبد الرّحمن. (2012م). *السّماع اللّغوي عند العرب ومفهوم الفصحى* . (د.ط). الجزائر: موفم للنشر.

5- الحاج صالح، عبد الرّحمن. (2012م). *منطق العرب في علوم اللّسان*.(د.ط). الجزائر : موفم للنشر.

6-الخولي، محمد علي.(1402هـ/1982م).*معجم علم الأصوات*.(ط.1).المملكة العربية السعودية: مطابع الفرزدق التجارية.

7-سيبويه. (1408هـ/1988م). *الكتاب*. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ج1، ط3،. القاهرة. مصر: مكتبة الخانجي.

8- مجموعة من المؤلفين. (2002م). *المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات(إنجليزي-فرنسي-عربي)*. (ط2)، الدار البيضاء، المغرب: المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، طبعة النجاح الجديد.

9- معزوز، عبد الحليم. (1437هـ-1438هـ/ 2016م-2017م). *تأصيل اللسانيات العربية عند تمّام حسّان و عبد -عبدالرحمن. صالح الحاج-دراسة إبستمولوجية في المرجعية و المنهج-* . جامعة باتنة1. الجزائر: كلية اللغة و الأدب العربي و الفنون.

10-لالاند، أندريه. (2002م). *موسوعة لالاند الفلسفية*. (ط1). بيروت. لبنان: منشورات عويدات.